نظرات في

مشروع "نقد الخطاب الديني"

قراءة في مقال لأحد الكتاب "العصرانيين" ممن كانوا في يوم ما يحملون "فكر التكفير " ثم انتقلوا الى نقيضه التنكيل وتفنيد ما جاء فيها من مغالطات في ضوء الوثائق والحقائق

ويليه

رسالة شخصية تبين أسباب ظهور هذه الفئة ودوافع تشكلها

كتبه
خالد بن عبدالله الغليقة

بسم الله الرحمن الرحيم

هـــناك حقيقة تاريخية تقول: إن كثيرًا من الطوائف والجماعات والفرق الدينية كبرت أم صغرت ، كان سبب ظهورها وتشكلها وبروزها على أرض الواقع (ردود أفعـــال) هذا من جهة، ومن جهة أخرى (حظوظ شخصية) مادية كانت أو معنوية، والماديـــة واضـــحة لا تحتاج الى توضيح ... أما المعنوية فمن ذلك طلب الشهرة والصيت ، والأضواء ؛ لأن من يسلك الجادة المعروفة في الغالب لا يلتفت إليه ولا تســلط عليه الأضواء بخلاف المخالف للعادة والأصل ؛ فهذه الأسباب وغيرها فيما أرى ســاهمت فـــي تكوين جماعات قليلة وضعيفة في مجتمعنا على طرفي نقيض وبيـــنهما جماعـــة وســـط أكـــثر عقلانية ولديها منهج قائم على الوسطية والتوسط ومحاربـــة الـــتطرف والغلو ... وهذه الجماعة الوسط هي المؤسسة الدينية المحلية بعلمائهـــا ودعاتها منذ ظهور الدعوة على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله إلـــى يومنا هذا. وهذه الجماعة الوسط كثيرًا ما تعاني من اتهامات ، وشتم ، ونبذ، ونقـــد تلـــك الطوائـــف الصغيرة والجماعات القليلة التي هي على طرفي نقيض . فالمتشـــددة والغالـــية تصفها بالتساهل واللين والأخرى تصفها بالتشدد والتعصب .. ومـــن ضـــمن هـــذه الجماعات جماعة ظهرت جديدة قديمة مكونة من شباب طلبوا الشـــهرة والصيت والإعلام على حساب الحقيقة والتاريخ وذلك ببرنامج سموه (نقد الخطاب الديني للمؤسسة الدينية والعلمية والدعوية المحلية) .. ومن عجائب هؤلاء الشباب أنهم أدخلوا أنفسهم التاريخ- وبالمناسبة هذا مطلب لهم بأي شكل كان هداهم الله - وذلك بأمرين : الأمر الأول أنهم قاموا بلعب الدورين وقادوا الطرفين المتشدد والغالـــي ســـابقًا والمتساهل والمتفلت حاليًا. والأمر الثاني : تحولهم من طرف إلى طـــرف آخر دون أن يمروا بمنطقة الوسط .. حتى إن الخوارج الذين ناظرهم علي بـــن أبـــي طالب وابن عباس رضي الله عنهما رجع كثير منهم إلى المذهب الوسط وهـــو (مذهـــب الســـلف) ولم يتحولوا إلى نقيضه (مذهب الإرجاء) ، فحالة هؤلاء الشباب حالة نادرة جدًا في تاريخ الجماعات والطوائف ، فمن أمثلة تحولاتهم النادرة تحولهـــم مـــن التزام التكفير للحكام ووصف العلماء بالتساهل واللين في مواجهة ما

يعتقدونه منكرات الحكومة ومنكرات المجتمع بذلك توصلوا إلى نتيجة مفادها : بأنه يجب أن لا يؤخذ بتفسير هؤلاء العلماء ولا يعتد بفهمهم للنص الشرعي ولا للمذهب السلفي ؛ لأنهم مداهنون للظلمة والطغاة وغير مجاهرين بكفرهم ومتساهلون في أمر الديـن . ثـم بعـد ذلـك تحولوا إلى الطرف الآخر وذلك بوصف العلماء بالشدة والتعصـب والـتطرف، فعلى هذا يجب أن ترفع وصايتهم عن الفقه الشرعي وعن تفسـير النص وفك احتكارهم للفتوى. أما من جهة الحكومة فقد تحولوا من التكفير إلى التنكيل وذلك بإسقاط الفكر الذي قامت عليه والأيديولوجيا التي من أجلها بايعها الـناس والعقـيدة التي هي لحمة الولاء .. وعملية الإسقاط لا تتم إلا بإسقاط مكانة وهيـبة ومـنزلة حاملـي لـواء هـذا الفكـر ومكرسي هذه العقيدة ومعززي هذه الأيديولوجـيا فـي المجتمع وبين الناس وهم رموز المؤسسة الدينية وعلماء الدعوة السـنية السـلفية ومما يدل على أن هذا الكيان قام على هذه العقيدة وأن هذه العقيدة قامـت على رموز وعلماء ودعاة أمثلةٌ من أقوال المؤسس الملك عبدالعزيز رحمه الله ، وهـذه الأمـثلة تبين هذه الحقيقة بجلاء وتوضحها غاية التوضيح يقول رحمه الله: "... يقولـون: إننا وهابية والحقيقة إننا سلفيون محافظون على ديننا نتبع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسـوله"[١]. ويقول أيضًا في رسالة له: "من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى من يراه من علماء المسلمين وإخوانهم المنتسبين وفقنا الله وإياهم لما يحبه ويرضاه آمين... الحمد لله لسنا في شك من أمر ديننا وتفهمون أنه منذ أظهر الله الشيخ محمد ابن عبدالوهاب في قرن أطيب من وقتنا ورجال أطيب من رجالنا وعلماء أطيب من علمائـنا فسدد الله به وقام بهذه الكلمة وجدد الله به الأمر هذا الأصل وأنقذ بأسبابه الـناس من الضلالات فبان أمره لأولي البصائر، وخفي ذلك على كثير من الناس. وعـاند مـن أزاغ الله قلبه وأعمى بصيرته، وقبل هذا الحق ماضيه آباؤنا وأجدادنا وعلمـاء المسلمين فيما أتى به من الأصل والفرع.. والآن يكون الأمر على مثل ما ذكـر المشايخ فمن أفتى أو تكلم بكلام مخالف لما عليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأولاده عـبدالله وعبدالرحمن وعبداللطيف، وعبدالله ابن عبداللطيف، فهو متعرض

(1) من خطاب ألقاه في منى عام ١٣٦٥هـ، صحيفة أم القرى ١٥/١٢/ ١٣٦٥هـ

للخطـــر في دينه ودنياه لأننا نعرف أنه لا يخالفهم إلا إنسان يريد الشر والفتنة بين المسلمين..." (١).

ويقول في رسالة أخرى: "من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى .... ولما بلغـــنا عنكم بعض الاختلاف حقيقة تكدر الخاطر لموجب أن التخالف في أمر الدين والـــتمادي في الجهل يخل في أمر المسلمين، لذلك كلفنا الشيخ عبدالعزيز [من كبار العلمـــاء] ولـــو أن ذهابه عنا مشقة علينا وصعوبة عليه. لكن أجد على ذلك محبة لســـكونكم وراحـــتكم، وتبييـــنًا للجاهل وزيادة توضيح للعارف العاقل، وحجة على مخـــالف الأمر. وألزمنا على حضوره بحضور الشيخ عبدالرحمن بن داود والشيخ عبدالرحمن بن ناصر فيجب عليكم أن تجتمعوا، أعني أنت الأمير وجماعتك، وتبينوا جميع ما أشكل بينكم وتستفتوهم فيه. والآن اجتمعوا ولا بد إن شاء الله سألتموهم عن كـــل شـــيء وهـــم أمـــروكم ونهوكـــم ونحن راضون ومقدموهم في جميع الأمور ومعـــتمدون على الله ثم عليهم لوثوقنا بالله ثم بهم. فمن الآن وصاعدًا صار قدومهم حجة على جميع مخالف الأمر، سواء في أمر الدين أم في أمر الدنيا..." (٢).

وفـــي رســـالة أخـــرى يقول: "من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى كافة الإخـــوان... ثـــم لا يخفـــى عليكم ما جرى من التنازع الذي يخشى علينا منه وهو إحـــباط الأعمال والفتنة والرجاء إن شاء الله أننا وأنتم ما لنا قصد إلا تقديم الشريعة والحـــرص على نجاة أنفسنا من عذاب النار، وهذا لا يحصل إلا (بالاعتدال) واتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وأنتم حضرتم عند علمائكم وقدوتكـــم وأخذتم عنهم كما أن الحاضر سمع، والغائب هذا كتابه ينظر فيه ويقتدى بـــه، وقد أحلوا عنكم ما كان مشتبهًا عليكم، وهذا هو الذي ندين الله به ونعتقده نحن والمشايخ وأسلافنا..." (٣) .

فهـــذه الرســـائل تبيـــن بجـــلاء اعتماد الملك على كبار العلماء في حسم مادة الاختلاف في الدين والدنيا ، وأن لدى هؤلاء العلماء منهجاً يعزز الاجتماع ويكرس

(1) كتاب لسراة الليل هتف الصباح، عبدالعزيز التويجري ص٥٢١.
(2) كتاب لسراة الليل هتف الصباح، ص١٦٣-١٦٤.
(3) لسراة الليل هتف الصباح، ص٥٢٥.

الاتفـــاق ويحل المشكلات . ويجزم الملك هنا بأن من خالف العلماء إنما يريد الشر والفتنة بين المسلمين.

ومـــن أمثلة تنكيل هذه الجماعة بالدولة والمجتمع مناداتهم وكتاباتهم التي تدعو الـــى رفـــع وصاية العلماء الرسميين عن الفتوى وكسر احتكارهم لها . وقد طرح أحدهـــم هـــذه الفكرة في كلمة له في إحدى الأمسيات وطبقها لما صار مسؤولاً عن الصـــفحة الإســـلامية في إحدى الصحف المحلية، فقد كان ينشر فتاوى لمفتين من خـــارج المنطقة ، بل لمفتين من خارج المذهب السني ، المذهب الذي قام عليه هذا المجتمع وهذه الدولة.

وهـــذا يخـــالف القـــرار الرسمي ، فقد سبق أن صدر قرار رسمي بتحديد جهة الفـــتوى وعلـــى أي مذهب تكون والاعتماد على هذه الجهة في الفتوى في شؤون العقائد والعبادات والمعاملات ، فقد صدر الأمر الملكي رقم ١/١٣٧ وتاريخ ٧/٨/١٣٩١هـــ، بإنشاء هيئة كبار العلماء، وجاء في المادة الرابعة منه ما نصه: تتفرع عن الهيئة لجنة دائمة متفرغة يختار أعضاؤها من بين أعضاء الهيئة (بأمر ملكي)، وتكـــون مهمتها إعداد البحوث وتهيئتها للمناقشة من قبل الهيئة، (وإصدار الفتاوى) فـــي الشـــؤون الفـــردية، وذلـــك بالإجابة على أسئلة المستفتين في شؤون العقائد والعبادات والمعاملات الشخصية وتسمى: (اللجنة الدائمة للبحوث والفتوى).

بعـــد هذا الأمر الملكي كيف ينادي هؤلاء الشباب – هداهم الله – برفع وصاية هذه اللجنة وهذه الهيئة عن الفتوى وعن الحكم في القضايا الشرعية :أليس في هذا مصادمة ومعاندة للقرار الرسمي؟! فأعضاء هذه اللجنة معينون بقرار رسمي ملكي كمـــا تنص المادة التاسعة من اللائحة على: (أن يعين رئيس اللجنة فيها وأعضاؤها (بأمرنا) بترشيح من رئيس إدارة البحوث) [١] .

وبيـــن يـــدي مقالـــة لأحد هؤلاء الشباب بعنوان : (التطرف صناعة محلية أم مســـتوردة؟) نشـــرها بتاريخ ٢٤/٦/٢٠٠٣هـــ، ويقال إن كاتبها أقيل من عمله في إحدى الصحف المحلية بسببها، وفي رأيي أن سبب ذلك ما تضمنته هذه المقالة من

---

(١) مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة ص ١/٢٧.

محاولـــة لإسقاط مكانة ومنزلة وهيبة رموز المؤسسة الدينية وعلماء ودعاة العقيدة السـلفية التـي قامت عليها هذه الدولة وهذا المجتمع وكذلك ما تضمنته المقالة من مغالطـات سـأذكرها وأبيـن ما فيها من جهل أو محاولة تجهيل للتاريخ وتزييف للحقـائق . يقول كاتب المقال: ".. لم يكن من قاموا بتلك الثورة – ثورة الإخوان – وذلك التمرد متأثرين بفكر وافد مطلقًا، فوسائل اتصالهم بالكون تكاد تكون معدومة ولكنها جاءت بالتأكيد من خطاب أيديولوجي تربوا عليه ونهلوا من معينه ردحًا من الزمـن على أيدي علماء كبار كانوا يلقنونهم إياه صباح مساء، ولكن الذي تغير أن هـؤلاء البسـطاء كـانوا أكثر صدقًا مع مبدئهم حيث ذهبوا به إلى أقصاه وطبقوه اعـتقادًا وقولاً وعملاً بعكس من علموهم حيث اتخذوا مواقف تناقض فيها اعتقادهم وقولهـم وعملهـم، فلم يجد الملك عبدالعزيز بدًا من الحل العسكري بعد أن اكتشف عجـز الخطـاب الدينـي الرسمي عن إطفاء الفتنة لأنه بكل صراحة كان سببًا في المشكلة فكيف يشارك في حلها!!"

فهـل صحيح ما ادعاه أن العلماء أو الخطاب العقدي أو ما يسميه الأيديولوجيا هـي سبب ظهور هؤلاء الإخوان؟ لا أنا ولا هو ولا من معه عاصرنا ذاك العصر فالحـاكم بيننا التاريخ وأوثق وأصدق طريق للتاريخ (الوثائق) ، فهذه الوثائق تبين عـدم مصـداقية مـا ادعـاه وعدم صحة ما ذكره وتبين تجاهله للتاريخ وتزييفه للحقائق :

أولاً أن العلمـاء كـانوا رافضين فكرة بناء الهجر للإخوان ؛ لأنها في نظرهم ستعيد خصلة التعصب والاستقلالية والخروج عن الطاعة ؛ مستخدمين في نظرتهم رحمهـم الله معرفـتهم بنفسية من عاش وتربى في البادية ومعرفتهم بحالة البدوي القائمة على الأنفة من الخضوع للغير وحب الاستقلالية ، والتجربة كانت رائدة في فكـرتهم . يقـول الكاتـب جلال كشك – رحمه الله – (ذكر لنا الأمير مساعد بن عبدالرحمـن – فـي لقاء معه في قصره بالرياض – مايو ١٩٨١م – واقعة على جانـب كبير من الأهمية، لم تذكر ولا طرحت في أية دراسة. قال : إنه لما ظهرت حركة الإخوان كردة فعل طبيعية للمناخ الحركي الذي أثارته عودة البيت السعودي إلـى نجـد، والجذور المتأصلة للحركة الوهابية في تربة نجد، فبدأت جماعات من

العظـيمات مـن حـرب وبنـي عبدالله من مطير تهاجر إلى منطقة ما بين حايل والقصيم، وشجعهم عبدالعزيز، ثم عقد اجتماعًا حضره الإمام عبدالرحمن بن فيصل والشيخ عبدالله بن عبداللطيف والشيخ حمد بن فارس وعبدالعزيز بالطبع. جرى فيه بحـث هذه الحركة وإمكانيات تطويرها. وقد اقترح الشيخ عبدالله بن عبداللطيف ألا يـترك هـؤلاء فـي (هجر) خاصة معزولة في البادية، بل أن يشجعوا على سكنى القرى والمدن).

ويقـول الأمير مساعد: (إن نظرة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف كانت أكثر بعدًا، إذ خشي أن تصبح لهم عصبية خاصة، ولكن المجتمعين لم يأخذوا بوجهة نظره التي ثبتـت صـحتها فـيما بعد) [١]. هذه الحكاية تجر كل قارئ منصف الى سؤال مهم يقول : إن من يحارب الجذور التي أدت إلى ثورة الإخوان ويأمر بهدم القاعدة التي انطلقت منها الثورة كيف يتهم بأنه كان سببها؟!

ثانـيًا: الكاتب عمم الثورة والخروج عن الطاعة على جميع الإخوان وهذا من الحـيف فـي الحكم ومخالفة التاريخ وتزييف الحقائق فليس جميع الإخوان ظاهروا الملك عبدالعزيز ونازعوه الطاعة والدليل على ذلك هذه الوثائق.

رسـالة من الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري إلى الملك عبدالعزيز رحمهما الله وفـيها: (... أدام الله وجـودك ألفـا – قـدم – عليـنا الشيخ عبدالله بن زاحم وعبدالرحمن بن ربيعان – من كبار عتيبة والإخوان المحبين لعبدالعزيز – زايرينا هـا الأيـام وجرى البحث في هالي – الذين – شدوا من الداهنة وغيرهم من جهال الإخوان واتفق الرأي على أن هذا أمر ما ينصبر عليه...). [٢]

وهناك رسالة أخرى من عبدالله بن زاحم إلى الملك عبدالعزيز يقول فيها: (... وبعد ذلك أدام الله وجودك من قبل الربع شدوا – رحلوا من هجرهم من الإخوان – مـن عندنا ونزلوا وشيقر، طب عليهم قبل أن يشدون علوش بن سقيان – من كبار مطـير والإخـوان المعتدليـن طـب: أي نزل –وأشار عليهم بعدم المخالفة وأنهم

---

(1) السعوديون والحل الإسلامي، جلال كشك، ص٦٨٨.

(2) كتاب لسراة الليل هتف الصباح لعبدالعزيز التويجري ص٣٥٥.

يستعوذون من الشيطان ويتركون هالأمور التي عنت أو بسبب الجهل والهوى والشيطان). [١] وهناك رسالة موجهة من مشاري بن علي بن بصيص- وهو من كبار مطير ومن كبار الإخوان وممن ظل وقومه على ولائه لعبدالعزيز ولم يستطع الدويش أن يأخذه إلى صفه-[٢].

فهذه بعض الأمثلة تبين أن ليس جميع الإخوان نازعوا الملك ، بل إن كثيرًا من كبرائهم لم يكونوا معهم ، بل خالفوهم وشددوا عليهم وشدوا من عزم الملك لمواجهتهم ولو بالقوة ؛ فهذا دليل على أن الكاتب خالف التاريخ وناقض الوثائق وعمم في محل التفصيل.

ثالثًا: قول الكاتب: "ولكنها -ثورة الإخوان - جاءت بالتأكيد من خطاب أيديولوجي تربوا عليه ونهلوا من معينه ردحًا من الزمن على أيدي علماء كبار كانوا يلقنونهم إياه صباح مساء ولكن الذي تغير أن هؤلاء البسطاء كانوا أكثر صدقًا مع مبدئهم حيث ذهبوا به إلى أقصاه وطبقوه اعتقادًا وقولاً وعملاً بعكس من علموهم حيث اتخذوا مواقف تناقض فيها اعتقادهم وقولهم وعملهم، فلم يجد الملك عبدالعزيز بدًا من الحل العسكري بعد أن اكتشف عجز الخطاب الديني الرسمي عن إطفاء الفتنة ؛ لأنه بكل صراحة كان سببًا في المشكلة فكيف يشارك في حلها!!".

في هذا الكلام مغالطة كبرى للتاريخ ونسف لعلم التوثيق والتحقيق وتزييف للواقع، فالعلماء الكبار كانوا على مبدأ واحد وهو منهج السلف القائم على الدليل والجمع بين الأدلة تجاه المنكرات وتقدير المصلحة في إنكار المنكر وتطبيق القواعد الفقهية على المستجدات والأحداث والقضايا، ولكن تخلف عنهم بعض زعماء الإخوان وانقلبوا على معلميهم لقلة علمهم بمنهج السلف وجهلهم بمنهج محمد بن عبدالوهاب وأئمة الدعوة مع ما في بعضهم من حب للرئاسة والزعامة والاستبداد، وتبعهم بعض العوام وخرجوا عن هذا المبدأ ووصفوا العلماء بالمداهنة لابن سعود فقامت قيامة العلماء عليهم ، فناقشوهم وناصحوهم وأنكروا عليهم ولكن لما رأوا أنه لا يجدي معهم أسلوب الحوار والمناصحة شحذوا همة الملك في محاربتهم والقضاء

---

(١) كتاب لسراة الليل هتف الصباح، ص٤٣١.

(٢) كتاب لسراة الليل هتف الصباح، ص٣٣١-٢٤٣.

عليهم ، ويوضح ذلك الوثائق التالية: (من عبدالله بن عبداللطيف وحسن بن حسين وسـعد بـن حمد بن عتيق ومحمد بن عبداللطيف إلى جناب الإخوان الكرام الشيخ عـبدالله بن سليم والشيخ عمر والشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف والشيخ عبدالله بن حمد بن عتيق، سلمهم الله تعالى آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، تفهمون أن الدين النصيحة وبيان لكم ما نحـن علـيه لا يخفى عليكم ما كان فيه المسلمون سابقًا من المحن في أمور الدين ونصـرة الباطل وأهله. ثم بعد ذلك منّ الله على المسلمين بولاية الإمام عبدالعزيز حفظـه الله، ومـا جرى عليه من صولة أهل الباطل وكراهتهم للدين وظهوره. ولم يزل بحمد الله في زيادة ظهور حتى استقر الأمر واضمحل الباطل ثم في ضمن ذلك منّ الله على بادية نجد بالإقبال على الدين والرغبة في الإسلام والجهاد ونصرة دين الله فزاد من فضل الله الحق ظهورًا نرجو الله سبحانه وبحمده أن يحفظ علينا وعليكم وعليهم ديننا ويثبتنا وإياهم على الاستقامة عليه ولزوم السنة وعدم الخروج عنها إلى الغلو. ثم حدث في بعض جهال البادية بعض (الغلو والزيادات في أمر الدين) بأشياء لم تكن من أمر الله ولا أمر رسوله وليست على الشرعية. ومن فضل الله قام الإمام والعلمـاء بالنصـيحة لهم والشفقة عليهم حتى تبين لهم الحق وتبعوه وإن بقي شيء فهو قليل من جاهل أو صاحب هوى، إلا أهل الأرطاوية تبين بعضهم وجاهر بعدم قـبول النصيحة حتى آل الأمر إلى طلب الاستبداد والخروج عن الطاعة. ولا قبلوا النصـائح التـي تجيـئهم من العالم الذي عندهم. وصار يظهر عندهم أمور تردها الفطـرة ويقشـعر مـنها الجلد. وحاصل ما هم عليه ثلاثة أمور، الأول: بدع في الشـريعة. والثانـي: اعتقادهم أن غيرهم ما هم على شيء إلا من حسن طريقتهم. والثالث: الطعن في ولاة المسلمين وعلمائهم والأغلب في العلماء. وتركنا التبين في أمـرهم والبـيان والحـث على زجرهم ظاهر موجب أمرين، الأول: رجاء أن الله سـبحانه يمن عليهم بالهداية. والثاني: عدم قبولهم للنصائح والكذب علينا خشية أن يكـون الانتصار للنفس. فلما تعاظم الأمر تبين فيهم من يبحث عن الرئاسة والعلو لنفسـه والاستبداد من دون ولي الأمر وصارت هذه المخالفة للشرع سنة من مضى من أمثالهم. فلما خشينا أن يتفاقم الأمر ويتفرق ذات البين ويدرك الشيطان مراده ما

أمكننا السكوت مخافة على ذممنا وعلى حوزة المسلمين، ولزمنا البيان وذلك واجب علينا وعلى كل مسلم له معرفة واهتمام بأمر الدين والولاية، والكشف عن ذلك واضح: غزا الدويش على أطراف الكويت من غير إذن أمر ولي الأمر ولا مراعاة لأمر الشرع ولزوم الطاعة، وتعدى وغزا على عرب بينهم وبين ولي الأمر عهد وذمة. وأيضًا لا بد في ضمن ذلك من بعض المضار على الولاية لأن ولي الأمر ما نبذ إليهم على سواء. والثاني: أنه بعد ما غزا وخمس الأموال حط الأخماس في أمور تغضب الله، مع أنه ليس له الحق في ذلك، لو كان مغزاه شرعيًا، وفرقوه على شهوات أنفسهم، أعطوها كل إنسان يحسن فعلهم ومساعدهم ومنعوها لمن انتسب للخير من أهل الأرطاوية وأهل قرية وهذا نتيجة خبيثة تدل على قصد خبيث: غدر وعدم إنصاف. والخمس أمره عند ولي الأمر. ثم بعد ذلك لما جاء الإمام الخبر ذكر لهم أني خادم شرع، وأرسل رسول الدويش مع خادمه للشيخ سعد، وكتب الشيخ فتوى لا بد تشرفون عليها إن شاء الله في تحريم مغزاهم على هذا الوجه والكسب، فلا قبلوا الفتوى الشرعية وصدوا صدودًا، ولا امتثلوا لأمر الله ثم أمر ولي الأمر وصدر منهم أقوال وأفعال مخالفة للشرع وخط الدويش للإمام سلمه الله لا يطري لك فيه الأداء، لما رأينا ذلك لم يسعنا إلا بيان أمره لأجل أداء الواجب، ولا عاد يسعنا السكوت إذا لم ينفذ أمر الشرع ويسد خلل الفرقة وإلا اعتصمنا في بيوتنا وتركنا الناس بالكلية، وكتبنا خطًا للإمام عبدالعزيز تشرفون على نظيره وأيضًا فتوى الشيخ سعد تشرفون عليها. والإمام تدرون غايته أن ما عنده إلا النصح للإسلام والمسلمين والاجتهاد في ذلك باللسان والمال، لكن حصل منه الله يسلمه بعض التغافل في مثل هذه الأمور بحثًا عن المصلحة، ومثل هذا الأمر ما تجب فيه الأناة لأن خلله عظيم من طرف تعدي الشرع ومن طرف المسلمين ونحن إلى الآن ما بان لنا منه شيء والظن إن شاء الله فيه طيب من جهة هالأمر. وكتبنا لكم هذا الخط لأجل اجتماع المسلمين من أجل هالمغزى إن شاء الله تبلغونهم وتنصحونهم عن الإفراط في أمر الدين وعن أمر الجهاد. وغيره، مما يتعلق بالإمام ما لأحد فيه دخل، ولا بد تبينون لهم أمر الدويش وتبلغونهم به لأن الإمام إذا ترك هذه الأمور أو تهاون فيها العلماء صار فيها فساد كبير وقمع للحق وإعلاء للباطل وحجة لأعداء الدين، وكبار الإخوان

حضــوهم على مناصحتهم إخوانهم ومن تحت أيديهم ولزوم الشرع واتباعه، وترك الجهــل وترك طلب الرئاسة والمطامع التي تخل، ومراجعة الإمام في هذه الأمور وحضــه على أن لا يهمل الولاية في يد أحد ويؤدب المخالف لأنه تبين لنا من أناته مداراة خواطر الإخوان وتنظرون أنتم والإخوان في أمر أهل الأرطاوية لا بد يكتب لهــم نصــائح ويبين لهم الغضب عليهم وتبيان خطئهم. ونحن نعلم أن أغلب هؤلاء الإخــوان الذيــن معكم عندهم فرق في أمر دينهم، ومعرفة حق الولاية. هذا الذي يلزمــنا بــيانه، وأنتم الأمر من ذمتنا في ذمتكم لا بد تبلغونهم الأمر وتجتهدون في أمــور المســلمين وهذي المسألة إن سُدّ خللها وقيم فيها أتم قيام انتظم أمر الشرع وصار المعاند والمخالف مدحورًا. وهذا الذي نرجوه من الله فإن كانت الأحكام على موجب الأهواء ومراعاة بعض الأشخاص فنبرأ إلى الله من ذلك. وهذا الذي يلزمنا. نســأل الله التوفيق لنا ولكم ولخاصة المسلمين وعامتهم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

فهذه الرسالة وهي خطاب ديني عقدي واضحة البيان وتحكي بشكل صريح رأي العلمــاء في هؤلاء الإخوان وتبين حرصهم الشديد على مواجهتم والتصدي لبدعتهم وجهلهم وفسادهم، وذلك من خلال النقاط التالية:

١ – التحذير من الغلو في الدين والتطرف وأن جهلة الإخوان وقعوا فيه.

٢ – أن العلماء قاموا بالنصيحة لهم وتعليمهم والإنكار عليهم.

٣ – أن جهلــة الإخوان لم يسمعوا النصيحة وتجاهلوا الشرع ولم يقبلوا فتاوى العلماء في تحريم عملهم وغزوهم المخالف للشرع وبغير إذن الإمام.

٤ – أن العلمــاء نالهم من انتقاص وازدراء هؤلاء القلة من الإخوان أكثر مما نال الملك ، بل الكذب عليهم وتأليب العامة عليهم.

٥ – وصــف العلمــاء لهــؤلاء القلة من الإخوان بالبحث عن الرئاسة والعلو والاستبداد – وهذا الذي حصل منهم هو كما توقعه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في رفضــه بناء هجر الإخوان وقد سبق نقل ذلك – وكذلك وصفهم لهم بالقصد الخبيث من غدر وعدم إنصاف.

٦ – أن العلماء فهموا أن الملك متغافل عن هؤلاء القلة من الإخوان وأنه أخذته الأنـاة فيهم لمصلحة يراها وهم لا يرون الأناة فيهم وأن أمرهم يجب أن لا يتغافل عنه ، بل يجب أن يؤخذ بالقوة والحسم وبسرعة.

٧ – أن العلماء فهموا أن الملك يداري خواطر هؤلاء ولكنهم يرون أن هؤلاء لا يصلح معهم المداراة.

فكـيف مـن هـذا خطـابهم وهذه نظرتهم تجاه هذه البدع والمخالفات وإزاء المبتدعيـن والمخالفيـن والخارجيـن عن الطاعة ، بل صار العلماء بخطابهم هذا ملكيين أكثر من الملك كيف يتهمون أنهم هم أصحاب البدع وأنهم هم المتصفون بها وهم المروجون للخروج وأنهم أساس المشكلة ؟! لا يقول ذلك إلا من لا يقرأ التاريخ أو يقـرأه ولا يفهمـه أو يفهمـه لكن يقوم بتزييفه لأجل (ردة فعل) أو (لحظوظه الشخصية) .. ومما يدل على ذلك أيضا رسالة الملك عبدالعزيز إلى فيصل الدويش حيـث يقول له الملك فيها: (... أما من قبلي أنا فصحيح أنك أخي وتعرف مقامك عـندي ولكـن ذلك يحتمل دينًا ودنيا، لكن إذا أردت أن تعرف قلبي وقالبي وما أنا علـيه ومـا أنا فاعله فمثل ما عرفتك سابقًا ولاحقًا فأنا خادم لأهل العلم والله بحوله وقوتـه إن شاء الله لأمضي ما قالوا وأحب من أحبوا وأبغض من أبغضوا وأقضي أمـرهم علـى نفسي وعيالي ومن أحب) [١]. فنقد هؤلاء الشباب لهذا الخطاب نقد موجه لمؤسس الدولة لأنه هو الذي جعل هذا الخطاب ورموزه معيار سياسته ورفع مـن شـأنه وحاكم الناس به ؛ وجعله مقياس الصحة والصواب والحق في حكمه . وهذا من التنكيل مرة أخرى بالأسس التي قامت عليها الحكومة.

رابعـاً : يقول صاحب المقال: (...لكن الذي تغير أن هؤلاء البسطاء – يقصد بعـض جهلة الإخوان الذين ثاروا على الملك وعلى العلماء – كانوا أكثر صدقًا مع مـبدئهم حيث ذهبوا به إلى أقصاه وطبقوه اعتقادًا وقولاً وعملاً بعكس من علموهم حيـث اتخذوا مواقف تناقض فيها اعتقادهم وقولهم وعملهم) وذكر مثلاً مهمًا جدًا وآخر هامشياً حسب ما يزعم أن هؤلاء البسطاء تمسكوا به على مبدئهم وتخلف عنه

---

(١) كتاب لسراة الليل هتف الصباح، ص٤٠١.

العلمـــاء فالأمـــر مهـــم هـــو (اســـتنكار التعامل السياسي مع بريطانيا والتفاوض والمشـــاورة مـــع الأجنبـــي فـــي ذلك وداخل البلاد) ففي هذا الكلام تجاهل للتاريخ وتزيـــيف للواقع مرة أخرى، فالذين خرجوا على الملك ما خرجوا إلا بعد مخالفتهم للخطـــاب الدينـــي والأمر الشرعي ، وما خرجوا إلا بعد خروجهم عن مبدئهم الذي تعلمـــوه عند العلماء وتلقوه من المشايخ بل إن خطاب العلماء كان واضحًا في ذلك في بداية تغير هؤلاء القلة من الإخوان وليس بعدما خرجوا وظهر أمرهم حتى يتهم العلماء بالمداهنة للحاكم أو التزلف له ، ويؤكد على ذلك رسالة وجهها كبار العلماء للملـــك عبدالعزيز وهم : عبدالله بن عبداللطيف وحسن بن حسين وسعد بن حمد بن عتيق وسليمان بن سحمان وصالح ابن عبدالعزيز وعبدالله بن حسن وعبدالرحمن بن سالم وعبدالله بن حمد بن عتيق "إلى جناب عالي الجناب الإمام المقدم عبدالعزيز بن عبدالرحمن حفظه الله بما حفظ به أولياءه المتقين آمين.

ســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وتذكر حفظك الله السؤال الذي على الورق وأنت فاهم أن الله سبحانه وبحمده بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ودعا الناس إلى توحيد ربهم والجهاد في سبيله، وحارب الكفار وصالحهم وأعطاهم عـــند الحاجـــة واســـتجلاب مصـــالح المسلمين ما فيه ظاهر الأمر غضاضة على المســـلمين، حـــتى تكلـــم من تكلم في ذلك، وسلك على هذا المنهج في صلح الكفار الخلفـــاء الراشدون ومن بعدهم من أئمة الدين، ولا يزال يقدم من الكفار والنصارى على بلاد المسلمين بالأمان، الواحد بعد الواحد، كما هو مذكور في السير والأخبار، ولا يلزم من هذا موالاتهم ولا يسمى هذا موالاة للكفار حتى في المخاطبات، كما قال ابن القيم رحمه الله في استنباطه من كلامه صلى الله عليه وسلم بقوله عظيم الروم، وهـــذا فـــيه مخاطبة الكفار باللين عند الحاجة إلى ذلك. وبالجملة فالذي يطعن بهذه الأمـــور إمـــا رجل مجتهد معذور، أو إنسان له مقصد سيء، والرعية إذا انفتح لها بـــاب في الطعن على الولاية وعلى من قام بها بأسباب لا تخرجه عن الإسلام ولا توجـــب الطعـــن عليه بل هي مصلحة للإسلام وأهله ودرء للمفاسد انفتح باب الشر وحدثـــت الفتـــن التي هي غاية مرام الكفار، وهي الفرقة بين المسلمين، ولا يتمكن أعـــداء الدين إلا بذلك. ونحن في زمن غربة كما قال ابن القيم – رحمه الله – وهو

فـــي القرن السابع للإسلام، في زماننا أغرب منه في يوم قوله صلى الله عليه وسلم لعمـــر بن عنبسة لما قال له: من معك على هذا؟ قال حر وعبد، فكيف بزماننا هذا اشتدت الغربة وقلّت البصيرة وضعفت القوة ونطقت الرويضة في أمر العامة وقلّت البصـــيرة فـــي ديـــن الله، ومعـــرفة ما يجوز وما يمتنع في حق من ولاه الله أمر المسلمين، والسعي في مصالحهم، وسد أسباب الشرع عنهم، والإخوان مقصودهم إن شـــاء الله الخـــير خصوصًا سلطان وإخوانه. ولكن أين الرأي والبصيرة؟ وفقنا الله وإياك وإياهم لما يحب ويرضى وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم " .

فالعلماء في هذه الرسالة وضحوا رأي الشرع القائم على سنة النبي عليه الصلاة والســـلام وعلـــى سيرة الخلفاء الراشدين من بعده ومن تبعهم من أئمة الدين والقائم على المصلحة في مسألة التفاوض والتخاطب مع النصارى وعلى قدومهم إلى بلاد المسلمين وأن هذا لا يلزم منه الموالاة المحرمة. وفي هذه الرسالة تشحيذ همة الملك بـــأن لا يفتح باب الطعن في تصرفات الوالي في مثل هذه الأمور وأن فتح مثل هذا الباب فتح لباب شر وفتن ، وفي هذه الرسالة أيضًا أن كلام بعض الإخوان من قبيل كـــلام العامة وليس من كلام العلماء بعد ذلك ، وأن ما اختاره بعض هؤلاء العامة والإخـــوان من رأيهم هم ليس رأي للعلماء فكيف يتهم العلماء بزلات العامة ويؤاخذ العـــالم بخطأ العامي وكيف يحاكم العالم بسوء فهم وتصرفات العامي ؟! ولو سلكنا هذا المنهج لما بقي لنا عالم قط ، بل لوصل الأمر إلى نقد خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بتجاوزات بعض الصحابة في تطبيق مبادئ الرسول كما حصل من قتل أسامة بن زيد رضي الله عنه للرجل الذي قال لما رأى سيف أسامة (لا إله إلا الله) فأنكر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له: (هل شققت عن قلبه) وكما حصل مـــن غيره من الصحابة . فهل يقال إن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن صادقًا مـــع مبدئه وأن هؤلاء الصحابة الذين حصل منهم بعض التجاوزات في تطبيق مبدأ الرسول أنهم كانوا أصدق مع مبدئهم من الرسول حيث ذهبوا به إلى أقصاه وطبقوه اعـــتقادًا وقـــولاً وعملاً بعكس من علمهم حيث اتخذ موقفًا مناقضًا لاعتقاده وقوله وعملـــه ؟! بل لو طبق صاحب المقال ومعه هؤلاء الشباب هذا المنهج لم تسلم لهم عقـــيدة صـــحيحة أبدًا ولا دين ، فنتائج هذا المنهج وعواقبه ولوازمه كافية في رده

والحكم عليه بالبطلان.

بل أضيف هنا للقارئ وثيقة تبين أن نظرة وتعامل العلماء مع هؤلاء النصارى والأجانب كانت نظرة بعيدة جدًا وهي نظرة لم يفهمها بعض المؤرخين والكتاب إما لسوء قصدهم وإما لسوء فهمهم ، وهي أن العلماء كانوا ينبهون الملك عبدالعزيز أن لا يـترك الأجانب من دون قيد يتجولون في البلد من دون حارس شخصي يوثق به خشـية مـن أن يكونوا جواسيس ، فهذه رسالة من الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشـيخ إلـى الملـك عـبدالعزيز رحمهما الله يقول فيها :(.... فالموجب لهذا هو النصـيحة لكـم لأن الله تعبدنا بذلك وأوجبه علينا وحرم علينا الغش والسكوت عن البـيان... ولكن دوران هؤلاء الأجانب في ولاية المسلمين بقولهم معادن وغير ذلك فأنت ولله الحمد غني عن هذه الأمور وتمكينهم من التماس المعادن بزعمهم لا يؤمن مكـرهم وأنـت ولله الحمد من أحزم الناس وأكيسهم وأبصرهم بالأحوال ولكن هذا شـيء فـي النفس... كذلك سلمك الله دوجان – أي تجوال هؤلاء الخبراء الأجانب الذيـن ينقـبون عن النفط والمعادن في نجد تشمئز منه نفوس كل من كان في قلبه رائحـة إيمـان والمعهـود من أوائلكم رحمهم الله الإمام فيصل ومن قبله أئمة هذه الدعـوة، إذا قدم عليهم أجانب تحفظوا منهم وجعلوا في كل مكان عندهم خدامًا ولا يدوجون في البلد ولا غيرها ولا يدخل عليهم أحد نرجو الله يأخذ بناصيتك والسلام ٢/ ربيع الأول/ ١٣٥٥هـ)[١].

فهـذا الـنص يفـيد حـرص العلمـاء علـى أن لا يمكن هؤلاء من التجسس والتخابر، ويفيد بأن علماء الدعوة لا يرون بأساً بقدوم الأجانب النصارى لكن بشرط أن يجعل معهم خدام حتى يعرفوا إلى أين يذهبون وترصد حركاتهم .

وهـذه الـنظرة لم يفهمها بعض الكتاب ، فظن أن العلماء يمانعون التنقيب عن الـنفط أو عن المعادن بمنعهم قدوم الأجانب !! وهذا ليس بصحيح البتة والدليل هذه الرسالة التي يحكي فيها الشيخ محمد بن عبداللطيف رأي علماء الدعوة من قبله في السـماح بقـدوم الأجانـب واستقبالهم وكذلك الرسالة التي قبلها أكثر صراحة ،هذه

---

(١) كتاب لسراة الليل هتف الصباح، ص٣٧٩.

الرسالة الأخيرة تفيد أيضًا في الرد على صاحب المقال وذلك في زعمه بأن العلماء في وقت الملك عبدالعزيز ناقضوا مبدأهم في التعامل مع النصارى وهي تنقل رأي علمـــاء الدعوة قبل الملك عبدالعزيز وهو القول بجواز ذلك التعامل وجواز استقبال الأجانـــب النصارى في نجد معقل الدعوة السلفية فهذا مبدأ لهم قديم ورأي سابق لم يتحولوا عنه لأجل الملك عبدالعزيز.

ثـــم قال صاحب المقال: (ثم مرت سنوات طويلة انقرض فيها أكثر ذلك الجيل الثائر وتغيرت فيها تركيبة المجتمع وكثير من الظروف الداخلية والخارجية المحيطة بـــه، ولكن الخطاب الديني لم يتغير. لقد أعاد ذلك الخطاب إنتاج نفسه ليخلق جيلاً جديدًا من الصادقين في تطبيقه، من أولئك الذين لم تكن لديهم أية امتيازات اجتماعية أو سياسية تجعلهم يغضون الطرف عن التناقض بين النظرية والتطبيق، ومع شروق شـــمس الـــيوم الأول من شهر الله المحرم عام ألف وأربعمائة خرجت علينا جماعة جـــيهمان العتيبي في الحرم المكي الشريف، لتنتهك الشهر الحرام والبلد الحرام، لا تأثـــرًا بفكـــر دخـــيل أو خارجي فقد كانوا في شبه انقطاع عن الخارج حيث كانوا يحـــرمون الـــتلفاز والراديو بل والصحف، ولكنهم تخرجوا من جديد على يد كبار علمـــاء الخطاب الديني الآنف الذكر، فاستحلوا دماء المسلمين في البلد الحرام وبين الركـــن والحطـــيم كل هذا وهم يحسبون أنهم يجاهدون في سبيل الله وأنهم يحسنون صنعًا).

هـــذه الاتهامـــات للعلماء وخطابهم كسابقتها بلا دليل ولا برهان مع أنه أدرك هـــؤلاء العلماء الذين عاصروا حادثة الحرم ؛ فالذي يعرفه طلبة العلم يعرفه الكاتب لكـــن الفارق بينهم وبينه إنهم يحاولون أن يتذكروا ويحاول هو أن ينسى أو يتناسى أن جهـــيمان وجماعـــته خـــرجوا عن الإطار الذي كانوا متفقين فيه مع العلماء في عصـــرهم فحصـــل مـــنهم ما حصل من سلطان بن بجاد العتيبي وفيصل الدويش بالخـــروج عـــن مبدئهم الذي تعلموه من المشايخ وتلقوه من العلماء ولهذا تشابهت أحكـــامهم وآراؤهم وذلك في تحريم المستحدثات كالتلفاز والراديو كما ذكر صاحب المقـــال، واتفقت رؤيتهم تجاه الحكومة في التكفير والخروج ، كما أن العلماء اتفقت رؤيتهم ورأيهم في الطائفتين ، فكما أنهم في البداية كانوا يحسنون الظن بسلطان بن

بجـــاد وفيصـــل الدويـــش ، فلمـــا تغيروا تغيروا عليهم كذلك كانوا يحسنون الظن بجهـــيمان وجماعـــته فلما تغيروا تغير رأي العلماء فيهم ، يؤكد ذلك الشيخ صالح اللحيدان ، فقد وجهت له سؤالاً صريحًا (أين تحذير المشايخ من جهيمان قبل حادثة الحـــرم؟ فأجـــاب الشيخ قائلاً : المشايخ لما ظهر لهم بعض تجاوزات جهيمان ومن معـــه بدأوا يحذرون منهم وينفرون من مسلكه ويقول الشيخ : إن الشيخ عبدالعزيز ابن باز كان في بداية أمره يحسن الظن بهم كغيره من المشايخ لكن لما حصل منهم تجـــاوزات حـــذر منهم وشدد عليهم وغير صحيح من نقل عن الشيخ بن باز غير ذلـــك). وحدثني أحد الإخوة وهو ممن قام بتنظيم محاضرة للشيخ عبدالله الفنتوخ أن الشـــيخ ســـئل فـــي نهاية المحاضرة عن تصرفات هذه الجماعة فكان جواب الشيخ (لا أســـتبعد علـــى هذه الجماعة أن تزل) حتى أن أفراد هذه الجماعة شاغبوا على الشيخ وطلبوا مناظرته ومناقشته على إطلاق هذه العبارة ومن المشايخ الذين حذروا منهم ، بل شككوا في نواياهم وأن لديهم أمرًا خطيرًا يريدون أن يقوموا بفعله الشيخ محمد الشدي ، فقد أبرق برقية للمسؤولين يستنجد بهم ويستعديهم عليهم ومنهم كذلك الشيخ عبدالعزيز بن صالح فقد كان ينقل تصرفاتهم للمسؤولين ومما يدل على ذلك أيضًا أنهم كانوا مخفين نواياهم عن المشايخ وطلبة العلم ، فيذكر الشيخ الدكتور سعد الحمـــيد بأنـــه رآهم مجهزين سياراتهم وخيامهم في شهر شوال فسألهم إلى أين أنتم متجهون؟ فكان الجواب إلى الحج ! فكانوا يخشون أن يعرف طلبة العلم أو المشايخ نيـــتهم الشـــنيعة فيستفاد من هذا التاريخ وهذه الواقعة أنهم لم يكونوا على وفاق مع طلبة العلم في بدعهم التي أوصلتهم إلى هذه الكارثة مثل قضية المهدي فيذكر الشيخ سعد أنه كان وبعض طلبة العلم معارضين لمهدي جهيمان .

ومما يدل على أن العلماء والخطاب الديني العام كان ضد توجهات جهيمان ومن معـــه وضـــد بذور تلك الأفكار تشنيع العلماء على من تولد لديه بعض الأفكار التي توصـــل في النهاية إلى أفكار وبدع جهيمان ومن معه وتشنيعهم على من نبتت لديه نابـــتة ولو صغيرة من تلك الأفكار ومن ضمنهم [هؤلاء الشباب المتبنون ما يسمى (نقـــد الخطـــاب الديني) بحسب زعمهم] والكاتب يعرف أن منهم من كان يحرم آلة التســـجيل ولـــه رســـالة في ذلك وآخر يحرم الدخول في العسكرية والكاتب يتذكر

المواقـف الطريفة من جراء اتخاذ بعضهم العملة المعدنية ؛ لأن العملة الورقية فيها صور الحكام وكذلك تحريم الدخول في المدارس والعمل في الوظائف الحكومية وأن بعضـهم كـان يكفر الدولة ويرى جواز التفجير، لكن المشكلة أن الكاتب يتجاهل موقف العلماء وطلبة العلم بعامة من هذه الفئة الشاذة وبدعها الضالة مع أنه يعرف هـذا الموقف حق المعرفة ويعرف موقف الشيخ الدكتور سعد الحميد وهو أحد طلبة الشـيخ بـن باز وابن عثيمين أنه كان يرى في هذه الفئة (أنها تسلك مسلك جهيمان وتسـير على نفس الخطى) وكان الشيخ يصرح بهذا في كل مجلس وفي كل مناسبة ولهـذا كتب بعضهم قصيدة يذم فيها الشيخ بسبب كلامه هذا وكان يسميه (حميدكم)! وكـانوا يصـفونه (بـالكذاب الأشر) ! أما موقف المشايخ من هذه البدع فمعروف ومنشور فعلى سبيل الاختصار الشديد لما حصلت زوبعة أثارها بعضهم حول تكفير لابس الصليب بمجرد اللبس أفتى المشايخ بتفصيل ذلك وأنه لا يتسرع بالتكفير حتى يعرف اعتقاده ويبين له حكم اللبس فكان جوابهم على هذه المسألة (التفصيل في هذا الأمـر وأمـثاله هو الواجب، فإذا بين له حكم لبس الصليب، وأنه شعار النصارى، ودلـيل علـى أن لابسه راض بانتسابه إليهم والرضا بما هم عليه وأصر على ذلك حكم بكفره لقوله تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) والظلـم إذا أطلق يراد به: الشرك الأكبر. وفيه أيضًا إظهار لموافقة النصارى على ما زعموه من قتل عيسى عليه الصلاة والسلام، والله سبحانه قد نفى ذلك وأبطله في كتابه الكريم حيث قال عز وجل: (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) الآية وبالله التوفيق: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

الرئيس عبدالعزيز بن باز ، نائب الرئيس عبدالرزاق عفيفي، عضو عبدالله بن غديان، عضو عبدالله بن قعود. فتاوى اللجنة ٢/١١٩.

ومـن ذلك يرى الغلاة أن مبدأ التحاكم إلى نظام يسمى (قانونًا) كفر مخرج من الملـة مـن دون معرفة هل هذا القانون مخالف للشرع أم لا؟ ولهذا كفروا كل من يـتحاكم إلـى قانون دولي فضلاً عن مضمون هذا القانون الدولي هل هو قائم على الكفر أم لا؟ فكان العلماء مخالفين لمثل هذا الرأي فلا يتسرعون في تكفير المتحاكم إلا بشـروط أولها معرفة مضمون ذلك القانون، ثانيًا معرفة حال المتحاكم هل هو

مكـــره أم جاهل، ثالثًا لا يكفرون عين المتحاكم حتى يبين له أن هذا القانون كفر أو أن التحاكم إليه كفر يقول الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله في جوابه على السؤال التالـــي (إنهـــم يقولـــون أن القوانين التي فيها – دولة ... – قوانين غربية، ليست إســـلامية، فمـــا نصـــيحتكم أولاً لهـــؤلاء الشباب؟ الجواب: أما موضوع القوانين، فالقوانين يجب قبول الحق الذي فيها لأن قبول الحق واجب على كل إنسان حتى لو جاء بها أكفر الناس، فقد قال عز وجل: (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمـــرنا بهـــا) فقال تعالى (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) [1] وسكت عن قولهم: (وجدنـــا عليها آباءنا) لأنها حق، فإذا كان تعالى قبل كلمة الحق من المشركين فهذا دلـــيل على أن كلمة الحق تقبل من كل واحد، وكذلك... فالحق الذي في القوانين – وإن كان من وضع البشر – مقبول، لا لأنه قول فلان وفلان أو وضع فلان وفلان، ولكن لأنه حق)[2].

أما بدعة تكفير الحكومة فقد كان العلماء ضد هذه البدعة بجميع ألوانها وأشكالها وكانوا يحذرون ممن يتبناها أو ينشر كتب من يروج لها ككتاب (الكواشف الجلية..) وكتاب (ملة إبراهيم) والكاتب كان يعرف من كان يوزع هذه الكتب ومن كان يروج لأفكـــار أصحابها ولهذا كان هؤلاء الشباب ضد العلماء وكانوا يطلقون عليهم أنهم مداهنون للحكومة وأنهم باعوا الآخرة بالدنيا.

ثم يقول الكاتب: (ومضت السنوات حتى خرج من أبناء الوطن من يملؤه تفجيرًا وخـــرابًا ودمـــارًا، في العليا وفي الخبر وفي الرياض، ونحن نعالج الظاهرة فنترك الجـــذر، نشـــتم النتيجة ونبرئ المقدمة، نلهث في محو الهامش ونترك المتن، حتى خرج عليها أسامة بن لادن تلميذًا بارًا لذلك الخطاب ولكنه هذه المرة ليس بدويًا في الصحراء ولا منقطعًا عن العالم معتزلاً لمنتجاتها الحضارية... ليقلب الطاولة على رؤوس الجميع في العالم كله...).

قـــد يستغرب القارئ من كثرة ما سأنقله من رأي العلماء أو ما يسمى بالخطاب الدينـــي فـــي التفجيرات وغيرها من أعمال التخريب وقد يتساءل أين هذه الفئة أو

---

(1) سورة الأعراف، الآية ٢٨.

(2) فتاوى العلماء الأكابر/ جمع عبدالملك الجزائري، ص١٧٤.

هــؤلاء الشــباب من هذه البيانات ؟ لكن لن يطول استغرابه إذا علم أن تجاهل هذه الفئة أو هؤلاء الشباب لرأي العلماء ولفتاواهم وبياناتهم التي تدين التفجير والتخريب لم يكن عن جهل منهم بهذه البيانات والفتاوى بل كانوا يعلمونها ويفهمونها لكنهم لم يكونوا يتفهمونها أو يؤيدونها ، بل كانوا يرون أنها لم تصدر إلا مداهنة للحاكم ولم تصدر إلا عن تساهل من هؤلاء العلماء في أمر الدين ، ويرون أن من أصدرها باع الآخرة بالدنيا .

وهــذه بيانات وفتاوى العلماء وما يسمى بالخطاب الديني المحلي في التفجيرات وأعمــال التخريــب . ويلاحــظ القارئ أنها قبل تفجيرات العليا والخبر والرياض الأخــيرة ونيويورك بسنوات حتى لا يقول المشكك بأنها ردود أفعال وتجنبًا لغضب الحاكم أو خوفًا من انقطاع عطيته كما يقول الكاتب .

قرار مجلس هيئة كبار العلماء حول حوادث التخريب وخطف الطائرات

قرار رقم (١٤٨) الصادر في الدورة الثانية والثلاثين بتاريخ ١٤٠٩/١/١٢هـ :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين وصلى الله وسـلم وبارك على خير خلقه أجمعين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين . وبعد :

فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الثانية والثلاثين المنعقدة في مدينة الطائف ابتداءً من ١٤٠٩/١/١٨هـ الى ١٤٠٨/١/١٢هـ بناءً على ما ثبت لديه من وقوع عدة حوادث تخريب ذهب ضحيتها الكثير من الناس الأبرياء وتلف بسببها كثير من الأمــوال والممتلكات والمنشآت العامة في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها ، قام بعض ضعاف الإيمان أو فاقديه من ذوي النفوس المريضة والحاقدة ، ومن ذلك :

نسف المساكن ، وإشعال الحرائق في الممتلكات العامة والخاصة ، ونسف الجسور والأنفاق ، وتفجير الطائرات أو خطفها ، وحيث لوحظ كثرة وقوع مثل هذه الجرائم في عدد من البلدان القريبة والبعيدة ، وبما أن المملكة العربية السعودية كغيرها من البلدان عرضة لوقوع مثل هذه الأعمال التخريبية ، فقد رأى مجلس هيئة كبار العلماء ضرورة النظر في تقرير عقوبة رادعة لمن يرتكب عملاً تخريبياً ، كان موجهاً ضد المنشات العامة عملاً تخريبياً سواء كان موجهاً ضد المنشآت العامة والمصالح الحكومية أو كان موجهاً لغيرها بقصد الإفساد والإخلال بالأمن .

وقد اطلع المجلس على ما ذكره أهل العلم من أن الأحكام الشرعية من حيث الجملة على وجوب حماية الضروريات الخمس والعناية بأسباب بقائها مصونة سالمة وهي : الدين والنفس والعرض والعقل والمال .

وقد تصور المجلس الأخطار العظيمة التي تنشأ عن جرائم الاعتداء على حرمات المسلمين في نفوسهم وإعراضهم وأموالهم ، وما تسببه الأعمال التخريبية من الإخلال بالأمن العام في البلاد ، ونشوء حالة من الفوضى والاضطراب وإخافة المسلمين على أنفسهم وممتلكاتهم .

والله سبحانه وتعالى قد حفظ للناس أديانهم وأبدانهم وأرواحهم وإعراضهم وعقولهم وأموالهم بما شرعه من الحدود والعقوبات التي تحقق الأمن العام والخاص .. ومما يوضح ذلك قوله سبحانه وتعالى : (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً) المائدة ٢٣ ، وقوله سبحانه وتعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) المائدة ٣٣ .

وتطبيق ذلك كفيل بإشاعة الأمن والاطمئنان وردع من تسول له نفسه الإجرام والاعتداء على المسلمين في أنفسهم وممتلكاتهم . وقد ذهب جمهور العلماء الى أن حكم المحاربة في الأمصار وغيرها على السواء لقوله سبحانه (ويسعون في الأرض فساداً) المائدة ٣٣ . ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره ، وقال أيضاً :

المحاربة هي المخالفة والمضادة وهي صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق وإخافة السـبيل ، وكـذا الإفساد في الأرض يطلق على أنواع من الشر . والله تعالى يقول (ومـن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصـام ، وإذا تولـى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحـب الفسـاد) الـبقرة ٢٠٣-٢٠٥ ، وقال تعالى (ولا تفسدوا في الأرض بعد أصلحها) الأعراف ٥٦ ، وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : ينهى تعالى عن الإفساد فـي الأرض وما أضر بعد الإصلاح ، فأنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضره ما يكون على العباد ، فنهى تعالى عن ذلك .

وقال القرطبي : نهى سبحانه وتعالى عن كل فساد قل أو كثر بعد صلاح قل او كثر فهو على العموم على الصحيح من الأقوال .

وبـناء على ما تقدم ولان ما سبق إيضاحه يفوق أعمال المحاربين الذين لهم أهداف خاصـة يطلبون حصولهم عليها من مال او عرض ، وهؤلاء هدفهم زعزعة الأمن وتقويض بناء الأمة ، واجتثاث عقيدتها وتحويلها عن المنهج الرباني ، فإن المجلس يقرر بالإجماع مايلي :

أولاً : مـن ثبت شرعاً أنه قام بعمل من أعمال التخريب والإفساد في الأرض التي تزعزع الأمن ، بالاعتداء على النفس والممتلكات الخاصة أو العامة كنسف المساكن أو المسـاجد او المـدارس أو المستشـفيات والمصانع والجسور ومخازن الأسلحة والمـياه والمـوارد العامة لبيت المال كأنابيب البترول ونسف الطائرات أو خطفها ونحـو ذلـك فإن عقوبته القتل لدلالة الآيات المتقدمة على إن مثل هذا الإفساد في الأرض يقتضـي إهـدار دم المفسـد ولان خطـر هؤلاء الذين يقومون بالأعمال التخريبـية ضررهم أشد من خطر وضرر الذي يقطع الطريق فيعتدي على شخص فيقتله أو يأخذ ماله ، وقد حكم الله عليه بما ذكر في آية الحرابة .

ثانـياً : أنـه لابـد قـبل إيقاع العقوبة المشار إليها في الفقرة السابقة من استكمال الإجـراءات الثبوتـية اللازمـة من جهة المحاكم الشرعية وهيئات التمييز ومجلس

القضـــاء الأعلـــى ، براءة للذمة واحتياطاً للأنفس وإشعاراً بما عليه هذه البلاد من التقيد بكافة الإجراءات اللازمة شرعاً لثبوت الجرائم وتقرير عقابها .

ثالـــثاً : يـــرى المجلس إعلان هذه العقوبة عن طريق وسائل الإعلام ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

مجلس هيئة كبار العلماء

فهـــذه الفـــئة تعرف أن علماءنا ضد الخطاب التكفيري والتفجيري جدًا لكنهم لا يريدون الاعتراف بذلك ويتذكرون ولا أظنهم ينسون قصة الشباب الذين سافروا من الـــرياض إلى مكة لمناقشة الشيخ سفر الحوالي في عدم تكفيره للحكومة فكان الشيخ يناقشهم وينهاهم عن نشر هذا الرأي ، وليست هذه أول فضائل علمائنا على هؤلاء الشـــباب الشذاذ بل لما لجأ بعض هؤلاء إلى فكر التفجير – ويعرف هؤلاء معرفة جـــيدة مـــن الذي أيد تفجيرات العليا – كان بعض هؤلاء الشباب الشذاذ يريد القيام بعمل تخريبي وقبل القيام بذلك التقوا بالشيخ سفر الحوالي في مكتبه بجدة وعرضوا الأمـــر علـــيه يقول أحدهم : (فما زال الشيخ يحدثنا، ويشرح لنا حتى اقترب آذان الفجـــر، فغادرنا مكتبه ونحن مقتنعون بحججه، واعتبرنا الأمر كأنه لم يكن). فكيف تـــتهم هذه الفئة مشايخنا وعلماءنا بأنهم كانوا سبب هذه البدع الشاذة وهذه الأفكار الناشزة الصادرة من هذه الفئة الشاذة المتطرفة التي كانت في يوم ما ناقدة للخطاب الديني وكانت تصفه بالمتساهل والمداهن وتصف علماءنا بالتساهل والمداهنة ؟! لكن يحق لعلمائنا أن يردوا على هذه التهم بقولهم (رمتني بدائها وانسلت) .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

رسالة شخصية

تبين أسباب ظهور هذه الفئة ودوافع تشكلها

كتبها

خالد بن عبدالله الغليقة

أخي: .... الموقر

السلام عليكم و رحمة الله وبركاته، أما بعد:

يقــول الله تعــالى:{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْــنَ أَن يَحْمِلْــنَهَا وَأَشْــفَقْنَ مِــنْهَا وَحَمَلَهَــا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب: ٧٢].

فمن الاهتمام بأمر المسلمين في هذه البلاد يا أخي التمسك بمنهج علمائه في التعامل مع قضايا المجتمع، والاجتماع على هذا المنهج الذي خلق هذا الأمن، والأمان الذي تنعم به هذه البلاد.

ومن الأمانة يا أخي العض بالنواجذ على نظرة مشايخنا العميقة إلى المستجدات، وبعد نظرهم تجاه المستحدثات، فالنظرة العميقة منهم، وبعد نظرهم أنتجت مجتمعاً خالياً من السلوك الإجرامي، وكان أثرها مجتمعاً متديناً يخشى الله، ويرجو ثوابه، والدار الآخرة.

تعرف يا أخي! أن نتيجة كون المجتمع متديناً يخشى الله، ويرجو ثوابه، والدار الآخرة تنعكس على السياسة، والاقتصاد، والحاجات الضرورية للإنسان قال تعالى حكاية عن نوح إذ قال لقومه:{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا} [نوح: ١١].

فالتدين هنا كان سبباً لوفرة المال، والأولاد الذين هم زينة الحياة الدنيا، وقرة عين الإنسان في حياته، ومطلب فطري وقال تعالى:{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} [النــــور: ٥٥].

فالتدين هنا وعمل الصالحات كانا سبباً للاستخلاف في الأرض، وهذا حصل لآل سعود بمنهج ورؤية علمائنا، ومن آثار التدين، وعمل الصالحات تحويل حالة الخوف، والذعر إلى حالة أمن وأمان تنعم بها بلادنا، وما ذلك إلا بتفسير علمائنا للتدين الباعث على الأمن، والخالق للأمان.

أخي!

يقول الرسول ﷺ: «لا حليم إلا ذو عثرة ولا حكيم إلا ذو تجربة» فهنا علق الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وصف الحكيم بمن استفاد من التجربة وزادته خبرة وحكمة، ومفهوم الحديث أن من لم يستفد من التجربة فليس بحكيم، كما تقول العامة (التجربة خير برهان).

وتعرف يا أخي! أن تجربة بعض المدارس الفقهية في بعض الأقطار الإسلامية لم تخلق مجتمعاً خالياً من الفساد، وموصداً في وجوه دعاة الرذيلة كما خلقت مدرسة علمائنا.

إن تجربة بعض الجماعات الدعوية في بعض الأقطار الإسلامية لم تنجح في بناء مجتمع متدين التدين الذي أنتج الاستقرار السياسي، ولم تفلح في بناء مجتمع يخشى الله الخشية التي وفرت حاجات الإنسان الضرورية من أموال وأولاد، وأمن، وأمان.

أخي!

ليس كل مجتهد مصيباً بل الصحيح أن نقول: كل مجتهد معذور في خطئه، مأجور على غلطه، لكن يجب على الآخرين أن يستفيدوا من خطأ هذا المجتهد، ويعتبروا بغلطه حتى ينالوا الحكمة، ويرتقوا إلى الأفضل من المراتب بين شعوب الأرض، وحضاراته، ومن لم يستفد يبقى في الدرك الأسفل.

أخي!

ممـــا يميز مدرسة فقهائنا ومنهج علمائنا الذي كما قلت سابقاً خلق الأمن الذي نعيشه، -ولله الحمد- ووفر الاستقرار السياسي الذي نتعايش تحت ظله -بحمـــد الله-، وكـــان مـــن آثاره مجتمع فريد في قلة السلوك الإجرامي بالنسبة لغيره، ومن نتائجه التماسك الأسري، وندرة اللقيط: هو تفعيل مبدأ(سد الذرائع) تجـــاه المســـتجدات علـــى المجـــتمع من أطروحات وبرامج ظاهرها الرحمة، وباطنها العذاب، والفساد، والتي كانت بدورها نقطة تحول المجتمع إلى الرذيلة كمـــا هو مجرب في الأقطار الإسلامية الأخرى مع أن هذه الاطروحات، وتلك الـــبرامج أجيزت بفتاوى شرعية ينقصها القراءة المستقبلية، وخالية من النظرة البعيدة.

ومما يميز هذه المدرسة أيضا تفعيل قاعدة (درء المفسدة مقدم على جلب المصـــلحة)، وهـــذا التفعـــيل قائم على الاستفادة من تجارب الآخرين مع هذه الأطـــروحات ، والـــبرامج ونتائجها السلبية على المجتمع خلقاً وسلوكاً، وعلى الأمـــن، والاستقرار السياسي، فهذه التجارب بتلك السلبيات هي عمدة علمائنا، ومشـــايخنا في تفعيل هذه القاعدة لما رأوا أن (المصلحة) التي من أجلها أفتى بعض علماء تلك المجتمعات بالجواز والإباحة ذابت في المفسدة.

وأن (الإيجابـــيات) التـــي قصـــدها المفـــتون في تلك البلاد تلاشت في الســـلبيات، وعمـــدة هـــؤلاء العلمـــاء الذيـــن أبـــاحوا وأجازوا تلك البرامج والاطـــروحات (النظرة العلمية البحتة) من خلال الكتب الفقهية من دون نظرة للواقع ومدى صلاح الفتوى له بالجواز، والإباحة من فسادها، وتفتقد الاستفادة من تجارب العلماء الآخرين مع المجتمعات الأخرى.

تنبيه:

لابــد من نقد المدارس الفقهية، ونخل المناهج الدعوية الأخرى، وأخذ ما يصلح منها لإقامة الشرع، وترك ما لا يصلح ؛ لأن النقد كما هو معروف همة الباحــث عن الأفضل، ورغبة الباحث عن التجربة الصحيحة، والفهم الصحيح لنصــوص الشــرع حــتى ينال المسلمون ما تبشر به النصوص من الأمن، والأمان، وحتى يسعدوا بما تعد به النصوص من الرخاء، والاستقرار.

وهــذا سبب تصحيحنا لمدرسة فقهائنا، وعلة تصويبنا لمنهج علمائنا على المدارس، والمناهج الأخرى.

أخي!

بعــد هذه المقدمة أقول: هناك جماعة محلية أو قل طائفة شاذة تريد أن تسـيطر علــى المنابر الإعلامية، والصحفية بالذات ، هذه الجماعة لا تعتد بمنهج علمائنا الذي أنجز هذه الإنجازات على الصعيد السياسي، والاقتصادي، والاجتماعــي كمــا سبق شرحه ، بل إن هذه الجماعة تحكم على هذه المدرسة التــي أنتجت هذا المجتمع الفريد من نوعه سيرة، وسلوكاً، والنادر في تاريخنا المعاصر أمناً، وأماناً بالرجعية، والانغلاق، وهذا الحكم وتلك النظرة ولدت لهم شــطحات خطيرة على الدين فمن ذلك مناداتهم بالتلميح تارة وبالتصريح تارة أخــرى برفع ما يسمونه (وصاية) العلماء على تفسير نصوص الشرع، وفهم الوحيين.

وإن فهــم الشــرع، وتفســير نصوصـــه لــيس خاصــاً بطبقة العلماء، وتخصيصها بزعمهم (كهنوتيه) فلبقية الشعب القول في الشرع، ولكل من هب ودب التصـــدي لنصـــوص الوحيين بالشرح، والتفسير، والاستنباط كما سبقهم لذلــك الترابـــي، وغيره –وهم بهذا يسقطون مدلول قوله تعالى: {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [الأنبياء: ٧].

فالله سبحانه لم يأمرنا باحترام تخصص علماء علم من العلوم إلا علماء الشــرع كمــا هو منطوق هذه الآية، ومفهومها احترام التخصصات الأخرى،

والتـــي بالطـــبع يحـــترمونها هـــؤلاء الجماعة كالطبيب، والمهندس، وحتى الميكانيكـــي، والكهربائـــي فمـــا بال علماء الشرع، ونصوص الوحيين مشاعة للجمـــيع ومبتذلة إلى حد الاستخفاف؟ ويعرف هذا من مقالاتهم -مثال صحيفة الوطن ٢٠/١٠/١٤٢١هـــ صفحة الدين- وفي مجالسهم.

ومـــن الأفكـــار التي تولدت لديهم وهي خطيرة على مجتمعنا نشر فتاوى علمـــاء آخريـــن لمجتمعات أخرى، والتي سبق أن قلنا: إنها لم تنجح في بناء مجتمع متدين ولم تنجح في المحافظة على حسن سيره، وسلوك أفراده، وكثير مـــا تكون معارضة لفتاوى الهيئات العلمية في بلادنا كاللجنة الدائمة للإفتاء، وهيئة كبار العلماء.

ولا نقدح في علمية العلماء الآخرين ؛ لأنهم مجتهدون، وقد كتب الله لهم الأجـــر لكـــن القـــدح يـــتوجه إلى من يعرف إن هذه الاجتهادات لا تصلح لمجتمعنا، والذم يتوجه إلى من يعرف أن تلك الفتوى جربت ففشلت، وظهرت سلبيتها، واللوم يتوجه إلى من يعرف -كما هو حاصل من أفراد هذه الجماعة- أن الفقـــه ملـــيء بالاجـــتهادات التي تبيح هذا، وتجيز ذاك، ومع ذلك يتتبعها لنشـــرها لبـــناء مجـــتمع إباحي لا يعرف المنهيات، وخلق شعب منغمس في الملذات لا يعرف المكروهات، ولا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً.

ولهـــذا كـــان كثـــير من العلماء ينهون عن تتبع الرخص، ويزجرون متتـــبعها، ولك أن تتصور شخصاً يتتبع في كل مسألة اختلف فيها العلماء بين محلل، ومحرم فيختار القول بالإباحة ماذا سيكون مصير هذا الشخص؟ وماذا يكون مصير مجتمع تولاه هذا الشخص؟.

أخي!

أرجـــو منك احترام معرفتنا لهذه الجماعة، وقربنا منها، وأنت محل لذلك فيما سبق لكن أحببت تأكيد ذلك فيما سيأتي.

أخي!

هـــذه الجماعـــة ترفع شعار «خالف تذكر» ولو كانت هذه المخالفة على حســـاب طلبة العلم وعلاقتهم بالحكومة، وتتبنى هذا الشعار، ولو على حساب طلبة العلم، وعلاقتهم بالمجتمع، وعلى أقرب قريب، وترى تفعيل هذا الشعار، ولو على حساب طلبة العلم، والمتدينين أنفسهم وإليك توضيح ذلك.

أما مع الحكومة فقد عانت من منشوراتهم المخالفة لمنهج علمائنا كالشيخ عــبد العزيز بن باز، وابن عثيمين –رحمهما الله–، وغيرهما الذي يتسم بالطاعـــة بالمعـــروف لـــولاة الأمـــر، وعدم الخروج على الولاة ونهاية تلك المنشـــورات شعار «خالف تذكر» فقط لا أنه عن اجتهاد في فهم الشرع يمكن الـــرجوع عنه بالمناقشة العلمية من مشايخنا، ولا عن قصد المصلحة فيما تبين مفســـدته بالإمكـــان التراجع عنه بعد تبين ذلك لهم من قبل علمائنا ، بل إن علماءنا عانوا من ألقابهم الشنيعة التي كانوا يطلقونها عليهم بسبب منهجهم مع ولاة الأمر المتسم بالطاعة في المعروف.

أما من ناحية تفعيل هذا الشعار في المجتمع ، فقد كانوا أداةً لتشويه وجه حقـــيقة طلـــبة العلم ومدى نفعهم للمجتمع، وأهميتهم للناس وخدمتهم لأهم ما يملك المسلم، وهو دينه، وأن يعبد الله كما أمر.

فقـــد كانـــت هذه الجماعة تقوم بمخالفة أنظمة الحكومة أمام أعين الناس، وتخـــالف عادات الناس، وأعرافهم، وتقاليدهم التي ليس في النهي عنها نص صريح، أو أن النص لا يصل إلى هذا الحد من الإنكار الشديد لها، فنفر بعض الـــناس الذين لا يعرفون الوجه الآخر من الحقيقة فظنوا أن جميع طلبة العلم، والمتدينيـــن بهـــذا الشـــكل، وعلـــى هذه الشاكلة مع أنهم لا يشكلون إلا واحداً بالمائة.

أمـــا الأقـــربون منهم فكثير منهم ليس بينه وبين والده علاقة، وليس بينه وبيـــن إخوتـــه اتصال بسبب شدته في الإنكار عليهم، وتطبيق سنة الهجر في حقهم، ولو كانت المخالفة لا تتحمل هذا الهجر، أو ذاك الإنكار الشديد.

أمـــا نتائج تمسكهم بهذا المبدأ على طلبة العلم، والمتدينين ، فقد كانوا أداةً للـــتفريق بيـــن الشـــيخ وتلامـــيذه، والتلامـــيذ بعضهم مع بعض، وكانوا سبباً لانصـــراف بعـــض طلبة العلم عن العلم للردود العلمية، والمناظرات الكلامية التي بدورها خلقت الفرقة والانشقاق بين طلبة العلم، وعلى ماذا؟ على قضايا صغيرة بالغوا في تعظيمها، وصوروها قضايا مصيرية، وجعلوها الحد الفاصل بين الإيمان والضلال، فعلى أدنى مخالفة يُرمى الشخص بالضلال، وعلى عدم الموافقة يهجر.

أخي!

ممـــا يـــدل على أن هذه الجماعة قصدها تفعيل هذا المبدأ لتحصل على نـــتائجه وثمراته بين الناس، ولو كان على حساب تشويه الوجه الحقيقي لطلبة العلـــم والمتدينيـــن أمام الحكومة، وأمام المجتمع، وقد جنت نتائج هذا المبدأ،أو حصـــلت ثمـــرته فقد ذاع صيت أفرادها بين طلبة العلم، وانتشرت أخبارهم بيـــن كـــبار المشايخ بين معارض لها وهم الأكثر، ومؤيد لها، وهم الأقل، وهذا القليل كان في بداية الأمر لكن لما تبين أمرهم، ونهاية قصدهم، وغاية ســـعيهم ذهـــب القليل، ولم يبق إلا هم فكادوا ينسون وصاروا تاريخاً لا وجـــود لهم، ولهذا أسباب منها كما سبق ذهاب القليل من المؤيدين من طلبة العلم، والسبب الآخر سجن الحكومة لهم.

أخي!

بعـــد خـــروج هـــذه الجماعة من السجن رأوا أن قطار الشهرة والصيت تخطـــاهم، وأن طلبة العلم نسوهم، وأن المشايخ لم يعد يذكرونهم فعزم بعضهم علـــى تغيـــير جذري لمنهجهم، ونقلة نوعية لنظرتهم واضعين نصب أعينهم

مـــبدأهم القديـــم «خالف تذكر»، ولو كان على حساب الحكومة مرة أخرى، أو كان على حساب المجتمع، وطلبة العلم، والمتدينين مرة ثانية.

وذلـــك بـــبرنامج آخـــر مناقض للبرنامج القديم، وطرح مخالف للطرح الســـابق فاســـتبدلوا القول بأن علمائنا مداهنون للحكومة، وأنهم متساهلون مع المجتمع بالقول بأن مشايخنا متشددون، وأن منهجهم قائم على اتهام الآخرين، وأنهـــم أعـــادوا الرق للمرأة بفتاواهم، ونقلوا حكم الحجر على السفيه، للمرأة بفقههـــم، وأنهـــم جعلـــوا أنفســـهم أوصياء على الشرع، وأن الأمر صار إلى الكهنوتـــية. فاشتهروا بهذه الأطروحات من جديد، وأيقظوا صيتهم من مرقده، وسارت أخبارهم بين طلبة العلم بعد زمن من النسيان، ودهر من الكتمان.

ومـــن أســـاليبهم في الكيد لعلمائنا، ومنهجهم في إتهام ومشايخنا، وفهمهم للمجـــتمع، والواقـــع إثـــارة المجتمع عليهم، وذلك بنشر فتاوى علماء آخرين يعيشون في مجتمعات أخرى، ومقارنتها بفتاوى علمائنا ليظهروا للمجتمع تشدد مشـــايخنا -كمـــا يـــزعمون- وليتبين للمجتمع أن مشايخنا جعلوا في الدين حـــرجاً، وعســـراً، وهذا كله يحصل في بعض الصفحات الإسلامية في بعض الصحف المحلية التي تولوا الإشراف عليها، والتي يريدون أن يمسكوا بزمامها كمـــا في صحيفتكم الغراء التي ولاّكم الله مسئوليتها، وأولتكم الحكومة عنايتها، وهـــي التي لا تريد أن يستقي المجتمع فتاواه الشرعية المصيرية من الخارج، والتـــي تمـــنع أن يوجه الناس في هذا البلد المتدين لله، والآمن من الخوف، والمطمئـــن اجتماعـــياً، والمســـتقر سياســـياً، والمنخفض فيه مؤشر السلوك المـــنحرف مـــن بلد أقل تديناً وأمناً واطمئناناً واستقراراً، ومن بلد مرتفع فيه مؤشر السلوك المنحرف، وما ذلك إلا بسبب خطأ في عدم تفعيل بعض قواعد الشـــرع من قبل بعض علمائه، ومجانبة الصواب في تفسير نصوص الوحيين من جهة بعض مشايخه.

أخي!

إذا لـــم نحـــس ونستشعر وندرك نتائج منهج علمائنا وثمرات فتاواهم في مجتمعـــنا فلـــن نستفيد من نتائج تجارب علماء المجتمعات الأخرى، وثمرات فتاواهم في مجتمعاتهم.

فالـــتجربة خير برهان، ودليل العقلاء، وطريقة الباحثين عن الصواب، وعن الصحيح، وعن الحق.

انتهى

وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،،،،